

الإسلام الصحيح لا يخالف العقل أم العقل الصحيح لا يخالف الإسلام

الكاتب: د فهد بن صالح العجلان



هل تجد فرقاً بين النصّين التاليين:
-الإسلام الصحيح لا يخالف العقل.
-العقل الصحيح لا يخالف الإسلام.

قد يكون الشخص حين يستعمل هذه العبارة يقصد بها معنى صحيحاً، فهو يريد أن الإسلام الصحيح لا يخالف العقل الصريح، فأي خطأ فهو إما إلى رأي منسوب إلى الإسلام وليس هو من الإسلام وإما هو شيء يظنّ أنه من العقل وليس من العقل، كما هي قاعدة شيخ الإسلام الشهيرة في أنَّ التعارض الذي يتواهُم بين العقل والنقل إما هو لكون النقل أو العقل غير صحيح.

فهو يريد هذا المعنى سواء قال بالعبارة الأولى أو العبارة الثانية.. فهذا أمره هين، وكما قال العلماء من قديم "لا مشاحة في الاصطلاح" خاصة حين يكون في سياق معين ولا يترتب عليه أي تلبيس. غير أنها حين ندقق في العبارتين سنجد أن ثم فرقاً كبيراً بينهما، وكثير من الناس يختار أحد العبارتين قصداً وعمداً لأنَّه يعرف حقيقة الفرق بين الإطلاقين.

الفرق بين العبارتين

فالعبارة الصحيحة هي العبارة الثانية التي تقول "العقل الصحيح لا يعارض الإسلام" وأما العبارة الأولى القائلة "الإسلام الصحيح لا يعارض العقل" فمشكلة وملبسة.

لماذا؟

لأن العبارة الأولى الخاطئة جعلت العقل هو المرجع والأصل والأمر الثابت الذي يجب على الإسلام أن لا يخالفه، فإن حصل خلاف فإنه يجب الرجوع إلى الإسلام لمعرفة سبب المشكلة، وحينها فيجب تقييد الإسلام وإخراج الصحيح منه الذي لا يخالف العقل. هذه العبارة لم تقييد العقل، جعلته عقلاً مطلقاً، هو أصل وغاية تحاكم إليه الأمور، وبالتالي فأي معارضة له فلا يمكن أن تكون ذات العقل، بل هي من الشيء الآخر.

والخطأ الآخر في العبارة أنها قسمت الإسلام إلى إسلام صحيح وإسلام غير صحيح. وهذه قد يفهمها بعض الناس على أن المقصود بعض التفسيرات الخاطئة للإسلام. لكن هذا خطأ، ومفهوم لا يصح لنا أن نقبله، لأن الإسلام واحد، ومصادره محددة، خاصة حين نتكلم عن القطعيات والنصوص الظاهرة، ودور الشخص ليس أن يأخذ من الإسلام الصحيح ويترك الباطل، بل دوره أن يجتهد ليعرف ماذا يريد الإسلام.

فرق بين قارئ ينظر في الإسلام ليأخذ الصحيح ويترك الباطل. وقارئ يبحث عن ما هو الإسلام ليعمل به.

أعرف أن أكثر الناس لا يقصدون به إلا المعنى الصحيح ولا يفطرون لمثل هذه الفروقات، لكنها فروق مقصودة عند بعض الناس، فمن المهم استحضارها، فأنا حين أقسم العقل إلى صحيح وباطل، فمعناها أنني لا أؤمن به مطلقاً، بل لديّ مرجعية أعلى منه يجعلني أحاكم هذا العقل وأعرف ما فيه من خطأ وهو وصواب وقطع، وهو المعنى الذي يسلم به عامة المسلمين.

وهو مؤذٍ كثيراً لبعض من لديه إشكالية مع النص الشرعي، فلا يريدنا أن نتعامل مع العقل بهذه الطريقة، ومن الدهاء العلمي لديهم أن قلبوا الطاولة فأصبحوا يمارسون على النص ذات المنهج الذي يمارس على العقل،

فأصبحت النصوص بحد ذاتها والإسلام بحد ذاته لا قيمة له حتى يكون صحيحًا، وكأن الأصل فيه أن لا يكون صحيحًا، وبالتالي فمطلوبتك باتباع الإسلام واتباع النص غير مؤثرة، لأن المهم ليس هو الإسلام والنص بل الإسلام الصحيح والنص الصحيح.

وهذا الكلام ليس محصوراً على العقل، بل يقال مثله في أشياء أخرى، فالإسلام الصحيح لا يعارض الوطنية، والإسلام الصحيح لا يعارض المدنية، والإسلام الصحيح لا يعارض التقدم والعلم، والإسلام الصحيح لا يعارض التسامح.. ودوكذلك من المفاهيم المعاصرة، فبدلًا من أن تكون هذه المفاهيم محكومة بالإسلام، فيؤخذ ما فيه من حق ويتحفظ على الباطل، أصبحت هي بحد ذاتها مفاهيم مطلقة وكلية ويجب على الإسلام أن لا يعارضها، فإن عارضها فابحث عن المعنى الصحيح، والمعنى الصحيح طبعاً ليس هو ما يدل عليه الكتاب والسنة بل ما لا يعارض هذه المفاهيم.

الإشكالية الحقيقية

الإشكالية أيها الفضلاء إنما تكون في حال التعارض، فحين يتعارض الإسلام مع بعض هذه المفاهيم، فالمنهج الصحيح أن نأخذ بالإسلام ونقيده هذه المفاهيم، وهذا ما تقرره قاعدة "العقل الصحيح لا يعارض الإسلام" فإن حصل تعارض فإن الخطأ حينها سيكون على العقل لأنه لو كان صحيحاً لما عارض، فلما عارض علمنا أن العقل غير صحيح.

وأما حين تقول "الإسلام الصحيح لا يعارض العقل" فإذا حدث تعارض فإن الخلل في الإسلام إذا لو كان صحيحاً لما عارض.

والإشكالية الأكبر .. أن معرفة الصحيح من الإسلام وغير الصحيح لن تكون بناءً على نظر في الإسلام ذاته، بل سيكون في الأخذ بما يريد العقل أو غيره،

فما في هذه المفاهيم فهو ما يجب على الإسلام قبوله، وهو معنى ينقلب تماماً حين تكون العبارة "العقل الصحيح" لأن العقل سيقيد بما يوافق الشريعة.

وأكرر مرة أخرى .. أن أكثر الناس إنما يقصدون المعنى الصحيح سواء كان العبارة الأولى أو الثانية، ولا إشكال في هذا، لكن من المهم أن يدرك الشخص مثل هذه الفروق خاصة حين يقرأ لبعض من لديه إشكالية في التعامل مع النص الشرعي .

المصدر:

١ . <http://www.saaid.net/Doat/alajlan/82.htm>

الكلمات المفتاحية:

#العقل-والنقل

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.